آمنوا وجه النّهار.. واكفروا آخره

لعلهم يرجعون

مرّ بنا ـ ونحن نرصد الجذور التي يرتبط بها ما يوده اليهود من إضلال المسلمين، وجعلهم يتوجهون إلى حيث الهلكة المدمِّرة في الدنيا والآخرة ـ ما روى الإمام الطبري عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: قال عبد الله بن الصيِّف وعدي بن زيد، والحارث بن عوف بعضهم لبعض، تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوةً ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعوا عن دينهم فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

هكذا ائتمر هؤلاء الرهط من اليهود فيما بينهم، وبيتوا أن يسلكوا هذا المسلك، ليكون جزءاً من منهج، قوامُه: المكر والانحراف عن الحق إلى الباطل، لعلهم يصيبون من المسلمين مقتلاً، فيضلوهم عن سواء السبيل؛ وذلك بارتدادهم عن الدين والعياذ بالله.

والحق أن هذا البيان في كتاب الله لواحدٍ من الأسلحة التي حاول استخدامَها أعداؤهم، نعمةٌ كبرى يقدرها حق قدرها المدركون لأبعاد الصراع، والأغراض القريبة والبعيدة التي يحلم اليهود بتحقيقها، ابتداءاً من العمل على زعزعة القاعدة الأولى، في بناء الإسلام العظيم.

وهو في الوقت نفسه، حجةٌ على الأمة، لا عذر لها إن هي أعرضت عن دلالته العميقة، وخاضت كالذي خاضوا، ناسية أو متناسية، أن الكلام كلام رب العالمين الذي يعلم سر الأعداء ونجواهم ـ وكتابُه الكريم، وحيُه إلى نبيه عليه الصلاة والسلام؛ فهو الحق كله، وهو الهداية كلها.

من أجل هذا: يمكن القول في شأن هذه الواقعة، التي تقوم على تبييت صورة من المكر قوامها النفاق، لتحويل المسلمين أو بعضهم ـ إن أمكن ـ عن مكامن الإيمان والقوة، إلى الزعزعة والضياع، بعد أن تبين علم اليهود أن المسلمين على حق، وأن أعداء الله يتعمدون لبس الحق بالباطل وكتمان الحق وهم يعلمون... يمكن القول: بأن معالجة هذه الواقعة وأمثالها في الكتاب الكريم.. من الثوابت التي لا خيار للمسلم، في أن يضعها موضع الانتفاع، أو لا يضعها كذلك، والإعراض عن هذه المحجة: اختيارُ التي هي أسوأ سبيلاً وأشنع عقبى.

وواقع المسلمين اليوم ـ نتيجةَ الإعراض – في كثير من الميادين – عن هدي الكتاب والسنة في شأن اليهود وأذيالهم، وأعداء الله بعامة ـ: إعلان واضح جدٌّ واضح لهذه الحقيقة، وتأكيد لها أيَّ إعلان وتأكيد!! والآيات التي أشير إلى أن هذه الواقعة التي يدار حولها الحديث: كانت سبب نزولها هي قول الله تعالى ـ كما سبق ـ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلا

تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ٧١ - ٧٣] تلا ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٤].

وبعد أن وقفنا في الماضي القريب على قبسات من هدي الآيات التاسعة والستين والسبعين والحادية والسبعين، لعل من الخير أن نتابع اصطحاب الكلمة الهادية في الآيات التي أوردناها، والتي لها ارتباط بسبب النزول المرويٍّ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ما بدٌّ من تبيُّن ما أرادت تلك الطائفة من اليهود ـ حين أمرت الأتباع بالإيمان بما أنزل على الذين آمنوا وجه النهار والكفر آخره ـ. إن الإيمان وهو يقوم ـ أول ما يقوم ـ على التصديق الجازم بالقلب، لا يحتمل هذا العبث الذي أراده هؤلاء... إنهم يريدون لأتباعهم المراوحة بين الإيمان والكفر؛ فهم مؤمنون ومصدقون وجه النهار.. ولكنهم ينقلبون إلى كافرين ملعونين آخر النهار. من هنا كانت للعلماء نظرات في هذا الذي أراده هؤلاء، وتبيُّن ذلك يسهم في إدراك الملامح العامة للمنهج الذي أراد اليهود سلوكه، بوصفه سلاحاً من أسلحة المواجهة مع الدعوة الجديدة، ونبيها عليه الصلاة والسلام والمؤمنين.

فهنالك اتجاه يفسِّر صنيع تلك الطائفة من اليهود، بأنهم أرادوا من أتباعهم أن يكون لهم موقف معلَن يرضى عنه المسلمون ـ بحسب الظاهر

ـ وموقف حقيقيٌّ يقوم على الجحود، ونفي أي اعتقاد بذلك الحق المنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام. فكان التوجيه، أمراً من الطائفة لأن يصدِّق المأمورون ـ وجه النهار ـ النبيَّ ﷺ في نبوته وما جاء به من عند الله، وأنه حق في الظاهر، على أن يكون منهم عدم التصديق ـ بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك، والكفر به وجحود ذلك كُلِّيَّةً ـ في آخره.

وكان يرى من تولىٰ كبر هذا العبث، أن ذلك أدعى لتصديق المسلمين أولئك اليهود فيما يظهرون من دعوى الإيمان، وأنهم ما رجعوا عن ذلك الإيمان، إلا أنهم رأوا في المسلمين ما يكرهون، وثمرة ذلك ـ فيما تصوّر سدنة الضلال ـ أن يرجع المؤمنون عن دينهم، ويستبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

فقد روى الإمام الطبري بسنده عن قتادة في قوله: ﴿**آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ**﴾ فقال بعضهم لبعض: أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار واكفروا آخره، فإنه أجدر أن يصدِّقوكم، ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما يكرهون، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم. وواضح من هذا: أن أصحاب ذلك الرأي من اليهود، كانوا يرون فيه سبيلاً إلى إغراء المسلمين بالتحوُّل عما أكرمهم الله به من هداية ونور، فعن أبي مالك الغفاري في هذه الآية ـ كما جاء في (جامع البيان) ـ: قالت اليهود: آمنوا معهم أول النهار واكفروا آخره، لعلهم يرجعون معكم.

هذا: ويبدو أن الطائفة التي أمرت بالإيمان وجه النهار والكفر آخره، لم تكن قصراً على أولئك العتاة الذين ورد ذكرهم في رواية عبد الله بن

عباس – رضي الله عنهما – وهم: عبد الله بن الصيِّف وعديُّ بن زيد والحارث بن عوف، فهنالك ما يدل على أن أكثر من جهة، قد أمرت بهذا، وذلك ما يكشف عن أن هذا المكر العابث، والاحتيال الخبيث كان لهما وجود عريض في صفوف أحبار اليهود وذوي الرأي فيهم، فقد روي عن السدي ما يدل على ذلك، ويوحي بشيء من محاولة الدخول إلى نفوس المسلمين، من شتى الطرق، بما فيها الكذب والتمويه وقلب الحقائق، لعل المحاولة تجدي ولو بالتشكيك.

يقول السدي – رحمه الله ـ كما روى عنه شيخ المفسرين في (جامع البيان) ـ كان أحبار قرىً عربية اثني عشر حبراً، فقالوا لبعض اليهود: ادخلوا في دين محمد أول النهار وقولوا: «نشهد أن محمداً صادق» فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: «إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم، فحدثونا أن محمداً كاذب، وأنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم» لعلهم يشكّون، يقولون: هؤلاء كانوا معنا أول النهار، فما بالهم؟ فأخبر الله عز وجل رسوله بذلك.

أجل! فأخبر الله عز وجل رسوله بذلك، وخسئت يهود. إن إغراق اليهود في كفرهم الظالم، وحسدهم وبغيهم على المسلمين، كل ذلك أعمى أبصارهم وبصائرهم، وإلا فمنذا الذي ينصاع إليهم في احتيالهم وكذبهم، ويخفى عليه أن ما يقولونه ـ بعد أن آمنوا وجه النهار وكفروا آخره ـ ضربٌ من التخلخل النفسي، وأثر من آثار الران المطبق على القلوب... خصوصاً وأن تصرفاتهم ـ فيما وراء ذلك ـ كلها شاهد صدق

على الانحراف، وأنهم يضمرون للمسلمين كل سوء، ولا يودُّون لهم إلا الأذى والهلاك.

ولقد تتابعت الروايات على تأكيد ما جاء، من أن الله أطلع رسوله ﷺ على مكرهم، وكان ذلك من فضل الله على المسلمين. وما عليهم إلا أن يذكروا الفضل، فيشكروه بالعمل واليقظة والحذر. جاء عن أبي مالك الغفاري قوله: قالت اليهود بعضهم لبعض: أسلموا أول النهار وارتدوا آخره، فأطلع الله على سرهم فأنزل الله عز وجل: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونسأله أن يرزق أمتنا العبرة، كي تحدد نوع تعاملها مع اليهود، في ضوء ما جاء عن الله ورسوله. ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠].

مع النفاق..
ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم

في حديث عما يضمر اليهود في أنفسهم للمسلمين، من الودّ المردي، والرغبة في أن يتحولوا عن طريق الهدى وسعادة الدنيا والآخرة، إلى طريق الضلالة والهلاك، كانت لنا وقفة عند آيات من سورة آل عمران، هي قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ...﴾ [آل عمران: ٦٩] الآيات، تكشف عن هذه الحقيقة وتربطها بجذورها في تلك النفوس المريضة، التي أعماها الحسد وإرادة البغي على الإسلام وأهله، وتومئ إلى ما كان من تأنيب الله إياهم على ذلك، إذ أنهم يكفرون، مع يقينهم أنهم على الباطل. ويلبسون الحق بالباطل، وهم يعلمون ما هو حق وما هو باطل.

كما تكشف عن واحدة من خططهم فيما يطمحون إليه ـ وهم دائبون على المكر والخديعة وتبييت الشر والأذى ـ وهي أن طائفة منهم طلبت من الأتباع، أن يؤمنوا بما أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، ويكفرو آخره، لعل هذه الخديعة تنطلي على المسلمين، فيظنوا بالطرق التي يسلكونها ظن السَّوء، ويتحوَّلوا إلى ما يريده اليهود عليهم لعائن الله.

إن الذي أوصت به تلك الطائفة من اليهود أتباعها، لم يقتصر على أمرهم بأن ينافقوا، ويمكروا في إيمانهم، فيؤمنوا بما أنزل على الذين آمنوا

وجه النهار، ويكفروا آخره، وذلك بأن يظهروا إيمانهم أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار، ارتدوا إلى دينهم، ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم نقيصة وعيب في دين المسلمين. ولكنه تجاوز ذلك إلى أمور أُخر نجدها في قوله تعالى: ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ الآية.

يقولون لهم: عندما تظهرون الإيمان بدين الإسلام: حذارِ أن يُداخلكم شيء من الطمأنينة للمسلمين؛ هكذا أمروهم ونهوهم... هناك في الشق الأول ﴿**آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾**﴾ [آل عمران: ٧٢] وهنا في الشق الثاني ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ لا تصدقوا إلا من اتبع دينكم، فكان يهودياً لحماً ودماً، يحمل الحقد كله، والحسد كله، ولا يضمر للمسلمين إلا السوء والشر، وجاء عند الحافظ ابن كثير قوله في معنى كلامهم: (لا تطمئنوا وتظهروا سروركم، وما عندكم إلا لمن كان على اليهودية، ولا تظهروا ما بأيديكم للمسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا عليكم به). يؤيد ذلك ما روى الطبري بسنده عن السدي: ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ قال: لا تؤمنوا إلا لمن تبع اليهودية. وما روى عن ابن زيد أن المعنى: لا تؤمنوا إلا لمن آمن بدينكم. ومن خالفه فلا تؤمنوا له.

ولقد جاء الرد عليهم في قيلهم هذا، فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**﴾ فهذا اعتراض في وسط الكلام يحمل الإخبار عن حقيقة لا يصح التغافل عنها، وهي أن البيان بيانُه سبحانه وتعالى، والهدى هداه؛

فهو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد ﷺ من الآيات البينات والحجج الواضحات، والدلائل القاطعات المقنعات، التي لا يدركها منصف ينشد الحق، إلا آمن.. وذلك كائن، مهما قمتم أيها اليهود بلبس الحق بالباطل، وكتمتم ما بأيديكم، من صفة محمد النبي الأمي في كتبكم التي نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين.. وحاولت طوائف منكم، أن تحول دون الناس، ودون أن يتعرفوا إلى الحق، ويطمئنوا إلى أهل الإيمان.

ونتابع اصطحاب الآية الكريمة، لنقرأ قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ والملاحظ أن سائر الكلام في الآية الكريمة بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ متصل بالكلام الأول خبراً عما قال اليهود بعضهم لبعض، ومعنى كلامهم على هذا: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم؛ ولا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم، ويساووكم فيه، بل يتميزون عليكم لشدة الإيمان به، لأنه من عند الله، أو يحاجّوكم به عند ربكم، أي يتخذوه حجة عليكم بما في أيديكم من الإخبار بالإسلام، وبصفة محمد عليه الصلاة والسلام، فتقوم به عليكم الدلالة، ولا تبقى لكم حجة في الدنيا والآخرة.

إنهم يتخوفون من ذلك، مع إصرارهم على الباطل وانطواء صدورهم على الحسد والغل للمسلمين، والواقع أنهم لا يخافون من إقامة الحجة عليهم فحسب، بل هم من حسدهم: يعز عليهم أن تكون النبوة في غيرهم وهذا مما يدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ حسداً من يهود أن تكون النبوة في غيرهم: وإرادة أن يُتَّبَعُوا على دينهم. ولكم تكشف هذه الكلمات عما تكنه صدور هؤلاء القوم، والتطلعات التي يحلمون بتحقيقها؛ فهم مستمرون على عنادهم وباطلهم، ويؤذيهم أن تكون النبوة في غيرهم، ويريدون أن يكون الآخرون أتباعاً لهم، كل هذا مع يقينهم أن المسلمين على الحق الأبلج دون ريب.

ثم قال تعالى في تمام الرد عليهم، وبيان عوارهم فيما يدعو بعضهم بعضاً إليه، حيث الحقد والحسد والضغينة وسوء الظن بالمؤمنين. وأنه هو المتفضل وبيده الهداية: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤]. قل يا محمد لهؤلاء اليهود: إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله، وإليه دونكم ودون سائر خلقه، فالأمور كلها تحت تصرفه وهو المعطي المانع، يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والاستنارة، ويضل من يشاء فيختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة، وله الحجة التامة والحكمة البالغة، وهو سبحانه أعلم بعباده وبما يصلحهم. والله واسع عليم، ذو سعة بفضله على من يشاء أن يتفضل عليهم، ذو علم بمن هو منهم أهل للفضل والعطاء.

والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، فكان مما نبه عليه بإسهاب ووضوح، ما لا يسع الأمة ـ إن عقلت عن الله ورسوله ـ جهله أو تجاهله في شأن يهود، الظاهرين منهم والمستخفين.

وصلى الله وسلم على من بيّن للأمة، بقوله وفعله، المنهج الذي عليها سلوكه على صعيد الولاء والبراء، ومواجهة التحديات ـ بشتى صنوفها وألوانها ـ مما يعلن أعداء الله، أو يبيتونه، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان؛ علماً وعملاً وجهاداً في سبيل الله إلى يوم اللقاء.

obeikandl.com

على المسلمين أن يحذروا..
واثقين بفضل الله

أرأيت إلى هذا الشمول في هدي الكتاب العزيز، والعناية بهذه الأمة المحمدية؟ لقد وقفنا واحد من المعالم القرآنية – من خلال كلمات مباركات – على ما يجب على المسلمين من الحيطة والحذر، من مغبة ما يبيت اليهود في الظلام؛ ذلك بأن طائفة من رؤوسهم زيّنوا لأتباعهم – كما سلف من قريب – القيام بمحاولة غاية في الخديعة والمكر، ترمي إلى زعزعة المسلمين عن دينهم؛ وذلك بأن يؤمنوا في الصباح ويكفروا في المساء، عسى أن يكون ذلك مدعاة لسوء الظن من المسلمين بدينهم فيكفروا به. لقد قالوا لهم: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره. لعل المسلمين يرجعون عن دينهم، وأضافوا إلى ذلك، توجيه الأمر لأولئك الأتباع بأن لا يؤمنوا إلا لمن تبع اليهودية، وأن يحذروا إظهار ما عندهم أمام المسلمين، لكيلا يتعلموه وينتفعوا به في الدنيا والآخرة، ويتخذوه حجة عليهم ذلكم قول الله جلت حكمته: ﴿**وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾**﴾ [آل عمران: ٧٣] ثم قال تعالى: ﴿**يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾**﴾[آل عمران: ٧٤].

فالله تباركت أسماؤه، بعد أن ردّ عليهم ضلالتهم – بإجمال – فيما نرى من قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ حيث جاء بذلك اعتراضاً في وسط الكلام، شاء أن يكون الرد على صورة أخرى، تحمل نوعاً من التفصيل في إلقامهم الحجر، بالحجة، والكشف عن زيف ما دعا بعضهم بعضاً إليه، حيث يستبطنون الحسد والضغينة والحقد وسوء الظن بالمؤمنين، مبيناً أنه هو المتفضل سبحانه، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ذلكم قوله جل ذكره في ختام الآية: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فهو يخاطب الرسول ﷺ ويعني بذلك جل ثناؤه: قل يا محمد لهؤلاء اليهود: إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله، وإليه دونكم ودون سائر خلقه، لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود من أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، فالأمور كلها تحت تصرفه، وهو المعطي المانع يمن على من يشاء بالإيمان والعلم واستنارة البصيرة، ويضل من يشاء فيختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة، وله الحجة التامة، والحكمة البالغة، وهو سبحانه أعلم بعباده وبما يصلحهم. والله واسع عليم: ذو سعة بفضله على من يشاء أن يتفضل عليه، عليم بمن هو منهم أهل للتفضل والعطاء. فإذا كان اليهود قد حذروا الأتباع، من سلوك السبيل التي تمكن أحداً أن يؤتى مثل ما أتوا، فإنا نرى الآية الكريمة تحمل بيان كذبهم في ذلك –وكما أسلفنا – ينبِّه النبي ﷺ أن يقول لهم: ليس ذلك إليكم، ولكنه إلى الله الذي بيده الأشياء كلها، وإليه الفضل وبيده، يعطيه من يشاء وهو سبحانه واسع عليم.

ثم قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وهنا يخبر ربنا سبحانه عن نفسه بأنه – وهو العليم بعباده؛ وبيده التوفيق للهداية – يختص برحمته من يشاء، والرحمة هنا – كما قال العلماء –: الإسلام والقرآن والنبوة؛ وفي ذلك ما فيه، من تأكيد الرد على اليهود، أولئك الذين تغلي صدورهم بحسد المسلمين والحقد عليهم، فقد اختص سبحانه المؤمنين من الفضل بما لا يحدُّ ولا يوصف، بما شرف به نبيهم محمداً عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء، وهداهم به إلى أكمل الشرائع، إذ جعله خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم، وأنزل عليه القرآن الذي شاء – بحكمته – أن يكون مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه. فمهما حاول اليهود أن يبيتوا الشر والأذى، ويمكروا بالمسلمين، فليس ذلك بمغيِّرٍ من الحقيقة شيئاً.. إذ إن الله قد أعطى المسلمين ما أعطاهم وكرَّمهم بفضله وإحسانه... وما على المسلمين إلا أن يشكروا الله على ما أعطاهم، بالوقوف عند حدوده، والعمل بشريعته على الوجه الذي ينبغي، وأن يأخذوا حذرهم من أولئك المغضوب عليهم، الذين أخبر الله عن سوء صنيعهم، وأن ما تخفي صدورهم أكبر.

وما من ريب في أن إدراك ما عليه اليهود وإعداد المستطاع من القوة لمواجهتهم يوجب على الأمة المسلمة أخذ الحذر، وطاعة الله ورسوله والحفاظ على الوجود الذاتي لها.

هذا: وقد ختمت الآية بعد الإبانة التي ألمحنا إليها بقوله تباركت أسماؤه: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ إنه ذو الفضل يتفضل به على من

أحب وشاء من خلقه. وصف فضله بالعظيم – كما قال أبو جعفر – لأنه غير مُشبهه – في عظيم موقعه – ممن أفضله عليه فضلٌ من أفضال خلقه، ولا يقاربه في جلالة خطره ولا يدانيه.

هذا: ثم إن مما يجدر التنبيه عليه، والوقوف عنده وقفة التدبر والتذكر، أن ما هدت إليه الآيات الكريمات، من صنيع اليهود وتخطيطهم الماكر بشأن العقيدة، وما دلت عليه من حسدهم للمسلمين، وتمني أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتوا – أعني اليهود – ثم ما كان من الرد الواضح العميق عليهم؛ كل أولئك – كما يعلن عن الحق ويكشف زيف الباطل، ويقيم الحجة على اليهود.. – يعني أن على المسلمين، أن يكونوا على غاية الوثوق بما تفضل الله به عليهم من طريق الإسلام، وأن يكونوا على عظيم التخوُّف، من أن يقعوا في المخالفة عن أمر رسول الله عليه الصلاةوالسلام، الذي كان شرف الانتساب إليه، من الفضل الذي اختصهم الله به.

وقبل هذا وبعده: أن تكون الحقيقة القرآنية في شأن اليهود، وأعداء الإسلام عموماً – نصب أعينهم في كل عصر؛ لأن المواجهة الصادقة لتحديات أولئك المغضوب عليه، وهي تحديات لا تقتصر على ميدان دون آخر، ما بُد من أن يصحبها تَمَثُّلٌ لتلك الحقيقة القرآنية، والاستنارة بما تهدي إليه، كيما يأمن المسلمون عثرات الطريق، ويعرفوا مواطئ أقدامهم، وهم يدفعون عجلة الحياة، ويتحركون بوعي وبصيرة في إطار الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وما هدى إليه القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، تقوم الشواهد عليه ماثلة في عصرنا هذا، كما قامت ماثلة في كل عصر عبر التاريخ.. ومن الخير أن نأخذ القضية مأخذ الجد، فلا تعوزنا الشجاعة الأدبية التي نقوِّم من خلالها مناهج فكرنا وأعمالنا في ضوء معالم الهداية الربانية، ومدى النسبة بين الواقع، وبين ما يجب أن يكون.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

obeikandl.com

لا يؤدّي.. إلاّ ما دمتَ عليه قائماً

ما أحسب أن حيناً من الدهر، أتى على أمتنا، كانت أحوج فيه إلى سلامة المنطلقات، والإعداد لمواجهة تحديات يهود، ومن يسخّرونهم من ذوي الأغراض الهابطة منها في هذه الحقبة التي ظهر فيها الزيف على حقيقته، وسقطت أقنعة المنافقين، وتمالأ أهل الباطل – على اختلاف مللهم ونحلهم – على هذه الأمة؛ في أرضها وفكرها ومقدساتها.

هذا إلى أن من عِظَم الشعور بالمسؤولية بمكان، وأن الأمر مرتبط بوحي السماء، من حيث تقويمُ العلاقة مع اليهود: الإحساس الصادق بأن ما هدى إليه الكتاب العزيز، وبينته السنة المطهرة وزخرت به السيرة العطرة – على هذه الساحة – هو النور الذي يضيء طريق المواجهة، كيف تكون، وهو السلاح الأمضى – بجانب الإعداد المطلوب – في المنطلقات على ساحة الواقع بما فيه، وعلى محاور الصراع.

وإذا كان الأمر كذلك: فلابد من قراءة جديدة للحقائق التي حملتها آي الكتاب ونصوص السنة في شأن يهود، ومن على شاكلتهم، ومن يأتمر بأمرهم وفق تأويلات لا تمتّ إلى الحق بصلة، ويرى مصلحته المادية العاجلة في أن يغنّيَ على شدوهم الأرعن، وينزل عند فكرهم القميء.

وهذا يشدنا إلى مزيد من الاستذكار والوعي، وتلمُّس العظات والدروس من وقائع يهودية، كانت أسباباً لنزول الكثير من آيات الفرقان

الحكيم، تبصّر المؤمنين، وتفضح عمل الكافرين، وتهدي للتي هي أقوم على صعيد الممارسة لشؤون الحياة، ضمن هذا المناخ أو ذاك.

والعهد قريب بالحديث عن واحد من أساليبهم المعوجة، على طريق الصراع – السافر حيناً، والمستتر حيناً – مع أهل الإيمان في عصر الرسول عليه الصلاةوالسلام؛ ذلك ما لجأ إليه بعض رؤوسهم من توجيه نفر من أتباعهم إلى أن يؤمنوا بالإسلام – أي يتظاهروا بالإيمان – في الصباح حتى إذا جاء المساء كفروا.. لعل ذلك يوحي إلى المسلمين، بأن هؤلاء اليهود لم يرجعوا عن إيمانهم، إلا لسبب سيء في الإسلام نفسه، خصوصاً وأنهم – عليهم اللعنة – كانوا على دعاوى عريضة في الثقافة، وفهم الأديان، لما أنهم أهل كتاب سماوي!! فإذا حصل ذلك، أمكن أن يرتد المسلمون عن الدين الحق دين الإسلام ﴿ ... آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

وحرصاً على استحكام الزيف عند أولئك الأتباع، أوحَوا إليهم أن لا يؤمنوا ولا يطمئنوا إلا لمن تبع دينهم، لكيلا يتسرب إلى نفوسهم شيء من أحقية ما عليه المسلمون. وهكذا: بدل أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، انصياعاً لما بشرت به التوارة والإنجيل، وما جاء فيهما من صفات النبي عليه الصلاة والسلام، استبدلوا الكفر الفاجر بذلك وجنحوا إلى التآمر على الإسلام الذي أمروا أن يؤمنوا به، وعلى نبيه وأهله.

وقد جاء حديث القرآن عن هذا العبث العابث في معركة يهود، ضمن الحديث عن مجموعة من الحقائق؛ محورها خيانة اليهود في

الدين، طلباً للإيقاع بالمسلمين، لما أن ذلك يروي ظمأهم إلى الشر والفتنة، وما يملأ قلوبهم المريضة من الحسد والضغينة، وتنطوي عليه نفوسهم من الحقد والاستكبار المقيت، والبغي على أهل الإيمان.

وقد كان – من رحمة الله – بهذه الأمة، أن جاءت الكلمة القرآنية الغامرة بالنور والهدى، تكشف العوار وترد الكيد في النحور.. وقد فضحت ما بيتوا، وردت عليهم كيدهم بما لا يدع زيادة لمستزيد، ولا تسل عن انتفاع المسلمين يومذاك، بهدي كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام.. وليت أن المسلمين اليوم ينهدون إلى المهمة الكبرى، ويحسنون اتباع ما كان عليه السلف الصالح في ذلك؛ إيماناً ووعياً ورغبة صادقة في الجهاد في سبيل الله، طمعاً بما عند الله من الأجر والمثوبة والرضوان.

وإذا كان الكتاب العزيز، قد نبه المسلمين من خلال الآيات الكريمات على أن يحذروا ويحذّروا من التقليد والموالاة، وأن لا يذعنوا لرأي يطرحه هؤلاء – وبخاصة ما له علاقة بالدين والفكر – بعد الذي ثبت من عدائهم الظاهر والباطن، وانحرافهم المتأصل عن الصراط السوي، وحقدهم على المسلمين، وحرصهم – حسداً وبغياً – أن يرتدوا عن دينهم، فيصبحوا كافرين،وهذه خلال هابطة في معاداتهم للحق والإنسان قامت عليها الحجج من أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم.

أقول: إذا كان الكتاب العزيز – وهو الكتاب المعجز – قد نبه على ذلك، فإن آيتين تاليتين للآيات المومى إليها، هما الآيتان الخامسة

والسبعون والسادسة والسبعون من سورة آل عمران، تكشفان عن خيانة اليهود في أمور المال أيضًا، وعن تعليلهم السيء لهذه الخيانة، وهو تعليل يذكرنا بالمثل القائل: (عذر أقبح من ذنب) فجمعوا بين الخيانتين كلتيهما في الدين والدنيا.. فكيف يطمئن إليهم المسلمون؟؟ إنهم إن فعلوا ذلك، كانوا في غفلة عن الحقيقة القرآنية التي تنير السبيل، وتأخذ بأيديهم – أن لو تدبروها ووضعوها موضعها من منهج الحركة والعمل – إلى مرابع النصر والتمكين. والغفلة عن الحقيقة القرآنية، وبيانها من السنة في شأن اليهود، ومن هم على سننَهم، حصدت الأمة من آثارها الصاب والعلقم، ونرجو أن تحمل تباشير اليقظة، عودة صادقة متدبرة إلى ما دلّ عليه الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة على ساحة العلاقة بأولئك المغضوب عليهم، الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب على غضب.. وهنالك ندرك ولو بعضاً من الأسباب التي جعلتهم يتنمَّرون ويتغطرسون، وهم من هم، كما هي الحقيقة في الكتاب والسنة والتاريخ.

هذا: والآيتان اللتان نعنيهما من سورة آل عمران – بدءاً من الآية الخامسة والسبعين – هما قول الله جل ثناؤه وتباركت أسماؤه: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾**﴾ [آل عمران: ٧٥، ٧٦].

هكذا يخبر الله تعالى أن من أهل الكتاب – وهم اليهود هنا – خونة في الأمانة وأداء الحقوق، يفجرون في اليمين ويستحلُّون أموال المؤمنين. فمنهم من إن تأمنه بقنطار على قنطار يؤده إليك، ويُفهم من ذلك أن ما دون القنطار يؤديه بالأولى. ومنهم من إن تأمنه بدينار على دينار، تكن منه الخيانة، فلا يؤدي هذا الدينار إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة، والتقاضي والملازمة، والإلحاح في استخلاص حقك. وإذا كان هذا صنيعَه في الدينار، فلئن لا يؤدي ما هو أكثر من الدينار كائن بالأولى. إذ إن من كان خائناً في القليل، فهو في الكثير خائن بالأولى.

وللقنطار معانٍ متعددة،منها: أنه المال الكثير بعضه على بعض، وأوصله بعضهم إلى أربعة آلاف دينار. أما الدينار: فنقل ابن الجوزي – رحمه الله – في كتابه (زاد المسير) عن شيخه أبي منصور اللغوي: أنه فارسي معرب، وأصله دِنّار، وهو وإن كان معرباً فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار، فقد صار كالعربي، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه، لأنه خاطبهم بما عرفوا.

هكذا خوطب النبي ﷺ بتبيان لهذا الخُلق عند فئة من اليهود، وفي ذلك تنبيه أيّ تنبيه للأمة وتحذير أي تحذير لها – إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها – كيما تكون على يقظة تامة بشأن قضاياها الاقتصادية والاجتماعية، فهؤلاء اليهود يضمون إلى الخيانة في الدين: الخيانة في المال. وإذن فالواجب عدم الاغترار بهم لأنهم يستحلُّون أموال المؤمنين، ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير يؤده

إليك ولا يخنك فيه، ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه، فلا يؤده إليك، إلا أن تلح عليه بالتقاضي والمطالبة. إنه بدلاً من أن يكون أميناً فيؤدي الحق، يخون فلا يؤديه إلا بالمطالبة الملحة والملازمة والتقاضي.

قال العلماء: والاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ استثناء مفرغ؛ أي لا يؤده إليك في حال من الأحوال، إلا في حال كونك دائم القيام بالمطالبة والمتابعة وسلوك السبيل المشروعة، التي تنتهي بك إلى ردِّ المال والحصول على الحق.

وقد يُتساءل عن وجه إخبار الله عز وجل بذلك لنبيه ﷺ، مع أن الناس عموماً فيهم المؤدي أمانته، وفيهم الذي يخونها. وإذا جعلنا الكلام متصلاً بالآيات السابقات التي أخبرت عن خيانتهم في الدين، نجد – والله أعلم – أن كتاب الله كما نبه المؤمنين على عدم الاغترار بهم في أمور الدين لأنهم خونة فيه، نبه هنا المؤمنين أيضاً – في استكمال للموضوع – على خيانتهم في المال تحذيراً لهم أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفاً لهم من الاغترار بهم، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين. يُضاف إلى ذلك أن العلة التي تذرعوا بها للخيانة وأكل أموال أهل الإيمان بالباطل هي قولهم: ليس علينا في الأميين سبيل كما سوف نرى في صفحات قادمات – إن شاء الله –، حين نتابع اصطحاب الآية الكريمة وقوله تعالى فيها على لسان اليهود ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

يقولون: «ليس علينا في الأميين سبيل»

من النعم العظام، التي يفترض بالمسلمين أن يقابلوها بعميق الشكر لله عز وجل، الشكرِ الذي يضع النعمة موضعها، على صعيد المسؤولية، وما به حفظ كيان الأمة، وإضاءة الطريق للأجيال القادمة، كيما يستنير الخلف بصنيع السلف، ويُحكم عملية البناء. من تلكم النعم العظام.. ما يقع عليه الناظر في كتاب الله عز وجل، من تبيان جلي للخصائص التي تشكل محور السلوك عند من كانوا مجاورين للمسلمين في ضواحي المدينة من اليهود، ومن إيضاحٍ لحقيقة موقفهم من المسلمين، ونبيهم عليه الصلاة والسلام ورسالته في كل ميدان من الميادين، وللبواعث التي تدفعهم إلى ذلك، والجذور العفنة التي يرتد إليها كثير من التصرفات.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل ترى أنه يصحب البيان المشار إليه، تذكير المسلمين بأحقية رسالتهم وأهمية وظيفتهم في الحياة – وهم أمة خاتم النبيين والمخصوصون بالشهادة على الناس – وتنبيههم على مكامن الخطر، وتحذيرهم الاغترار بزخرف القول، أو الضعف أمام الحيلة والمكر.

وليس من مكرور القول بأن أولئك المجاورين، وقد جمعوا إلى تحريف الكلم عن مواضعه ومظاهرة الباطل على الحق النهم في أكل الربا، والجشع إلى جمع المال من حله ومن غير حله.. أن نعاود الإشارة إلى تخلقهم – أو تخلق طائفة منهم – بخلق الخيانة في أداء الحقوق المالية، صَحِبَه خيانتهم في افتراء الكذب على الله وطمس ما جاء في التوراة من نصوص، توجب

عليهم الإيمان، بصاحب الرسالة الخاتمة محمد عليه الصلاة والسلام، وقد كانوا يستفتحون بذلك على الذين كفروا.. ﴿... فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

وعنوان الحقيقة المشار إليها في شأن الحقوق المالية: أن منهم – كما جاء في سورة آل عمران – من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والمتابعة والتقاضي، وأسوأ من هذه الخيانة والإصرار على أكل أموال المسلمين بالباطل، ما يعلِّلون به فعلتهم بقولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ تماماً كالذي نرى اليوم من استباحتهم اغتصاب أرض المسلمين التي بارك الله حولها بالقوة ومعاونة أهل الباطل في الأرض، بدعوى أن هذه أرضهم وممتلكاتهم، والمسلمون هم الغاصبون المتجاوزون حدودهم في الأصل، أو أنهم لا قيمة لهم ولا وجود.. الهراء الذي يذكرنا بقول الشاعر:

خلا لك الجو فبيضي واصفري

وإذا كان الأمر كذلك: والقرآن والسنة زاخران بتلكم الثوابت – على ساحة التبيان والتحذير – يكون من المستغرب حقاً، أيُّ لون من ألوان الركون إلى من عرّفتنا بهم مصادرنا الأصلية، أو الاطمئنان إلى مشورة عندهم أو رأي، خصوصاً في أمور الدين، وتعليل الوقائع.

ويداخلك الشعور بعظمة الكتاب العزيز التي لا حدود لها، وأن وراء كل كلمة من كلماته حكمةً لله بالغة، لأن الكلام كلامه الموحى به إلى خاتم الأنبياء، وهو سبحانه الحكيم الخبير.

ومن مظاهر شمول المنهج الرباني ما نلمح إليه من استقصاء البيان حتى يصل الأمر إلى الكشف عما تكنه صدور اليهود وتنطق به ألسنتهم وفعالهم من الحرص على حيازة المال حتى بالطريقة التي ألمحنا إليها ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾.

على هدي هذه الحقيقة التي وجدتني محمولاً على تأكيدها والمزيد من تجليتها، نعود إلى استكمال ما توحي به الآيتان الكريمتان المتعلقتان في هذا الشأن من سورة آل عمران وهما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

[آل عمران: ٧٥ – ٧٦].

هكذا يتعمدون عدم الوفاء بمال مشغولة به ذممهم، ويأكلون أموال المسلمين بغير حق، متذرعين بأن ذلك مما أباحه الله لهم افتراء وكذباً عليه سبحانه. فليس عليهم حرج – في زعمهم – فيما يصيبون من أموال الأميين ولا إثم، لأن هؤلاء الأميين – ويعنون به العرب المسلمين – على غير الحق، وأنهم مشركون تركوا دين آبائهم وأجدادهم، وصبؤوا بدخولهم في دين الإسلام.

والتعبير القرآني واضح الدلالة في تجلية الجريمة ودعوى تسويغها كل الوضوح، وهي دلالة قطعية لا تحتمل أي لبس. فهذا الذي يصنعون من الخيانة وأكل الحقوق كائن، بسبب أنهم قالوا: ليس علينا في الأميين

سبيل، أي ليس علينا فيهم – في أكل أموالهم بأي وسيلة – حرج؛ لأن الله أباح لنا ذلك.. سبحان الله أيُّ استعلاء بارد هذا، وأي استكبار مقيت؟ أنزلوا أنفسهم منزلة أنهم – والنصارى – أبناء الله وأحباؤه، وراحوا يتعاملون مع المسلمين انطلاقاً من هذه الفرية على الله !! والذي قلنا، من وضوح الدلالة وقطعيتها على الحقيقة التي يدار عليها الكلام، هو مانجده في عدد من روايات أهل التفسير، بجانب أن ظاهر الألفاظ دال عليه بصورة يدركها من له أدنى مسكة بمعرفة العربية.

فقد روي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ الآية: قالت اليهود: «ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل». ونجد في رواية أخرى أكثر تفصيلاً عنه أيضاً: ليس علينا في المشركين سبيل، يعنون من ليس من أهل الكتاب. إنه مادام اليهود قد اعتادوا العبث والتلاعب بقضايا الدين،وما دامت الرغبة في جمع المال من أي طريق تحاصر نفوسهم على الدوام، فليس عجيباً أن يسموا المسلمين مشركين لأنهم – في نظرهم – ليسوا من أهل الكتاب، وهكذا استحلُّوا أموال المسلمين لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب، وجاء عن السدّي أنه قال: يقال له – يعني اليهوديَ – ما بالك لا تؤدي أمانتك؟ فيقول: ليس علينا حرج في أموال العرب قد أحلها الله لنا.

وقد أشرت قبل قليل إلى أن المقصود بالعرب هنا المسلمون بدليل أنهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع العرب قبل الإسلام ويعزز ذلك عدد من الروايات.

وهذا الذي زعمت يهود من أن الله أباح لهم أموال الأميين وهم المسلمون يومذاك، هو محض افتراء وكذب على الله سبحانه وتعالى جل شأنه عن ذلك علواً كبيراً. ولقد جاءت الآية الكريمة صريحة بتكذيبهم ذلكم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لقد اختلقوا هذه المقالة وائتفكوها بهذه الضلالة، وما كان الله – وهو العدل الرحيم الذي حرم الظلم على نفسه وأمر عباده أن لا يتظالموا – ما كان له – جل شأنه – أن يبيح أكل أموال الناس عموماً بالباطل، فضلاً عن أن يكونوا من المسلمين، بل قد نهى سبحانه نهياً صريحاً عن ذلك؛ وحرم أكل الأموال إلا بحقها، ولكن اليهود قوم بُهْتٌ مفترون.

روى الإمام الطبري بسنده عن ابن جريج: «ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين..» قال: بايعَ اليهودَ رجال من المسلمين في الجاهلية، فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم فقالوا: ليس لكم علينا أمانة، ولا قضاء لكم عندنا، لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه! قال: وادَّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم. فقال الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. وهذا يؤيد ما قلته آنفاً، من أن الأموال التي يزعمون أن الله أباح لهم أكلها بغير حق، هي أموال المسلمين. ولا أدلَّ على عتوِّهم وبُهتهم مما أثبتته الآية بشأنهم من أنهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون. إنهم يعلمون أن الله قد أنزل في التوراة الوفاء وأداء الأمانة، ويقولون الكذب، وهم يعلمون أنه كذب.

ألا إن الحقائق التي يعرضها القرآن بأسلوبه البيِّن المعجز، والتي تتعلق بمنطلقات اليهود في التفكير والسلوك وطبيعة العلاقة بينهم وبين المسلمين، أمانة في أعناق القادرين على التوجيه والعمل في هذه الأمة ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة: ٦].

obeikandl.com

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

التنبيه على حقيقة أن اليهود – أو فريقاً منهم – يبلغ من جشعهم في حيازة المال من أي طريق وعلى أي وجه، حلالاً كان ذلك أو حراماً، أن يستبيحوا أموال المسلمين، فلا يؤدي الواحد منهم الدّين إلى غريمه المسلم، إلا ما دام عليه قائماً – ولو كان المطلوب أداؤه ديناراً واحداً – . . . هذا التنبيه الذي حملته سورة آل عمران، أمر على غاية الأهمية، في شأن التكامل في معرفة ماهم عليه – أعني اليهود – من تلك الخلائق التي لا يقتصر أذاها على جانب دون جانب، بل أنى تلَفَّتَّ، وجدت ما يتنافى مع أبسط قواعد الأخلاق، بله العقيدة الصحيحة والتدين المدّعى.

ويزداد الأمر أهمية، إذا ذكرنا ما اقترن به من تعليل، لاستباحة أموال الأميين، بأنه ليس عليهم في هؤلاء الأميين – وهم المسلمون من العرب – من سبيل؛ فهم – في نظرهم – أحطّ من أن يكون لأموالهم حرمة، لما أنهم – كما يزعم اليهودي – مشركون خارجون على الملة والدين الحق.

وهذا الجمع بين الخيانة في المال – بهذا التعليل الهابط – وبين الخيانة في الدين، كما أخبرت الآيات والأحاديث، يجعل من العبث العابث الاطمئنان إليهم، أو الركون إلى شيء من آرائهم فيما له علاقة بالمسلمين، ديناً أو دنيا؛ لما أن ذلك جنوح عن الطريق السوي في الأفكار والمنطلقات، لا يعود على الأمة إلا بالمساءة والأذى في الدنيا ويوم الدين.

نعم إن الركون إلى هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب في أمور العقيدة وما يتصل بها، ويتأولون النصوص على غير تأويلها، ويفترون عليه – جل شأنه – الكذب في أمور كثيرة وهم يعلمون؛ ومن ذلك زعمهم الباطل أنه أباح لهم أكل أموال المسلمين بغير حق: سبيل الإضرار بكيان الأمة لا من جهة الدين فحسب، بل من جهة الاقتصاد والاجتماع والسياسة وما إلى ذلك.. ناهيك عن الفكر والمنطلق كما أسلفنا.

وللمزيد من الإيضاح، وبيان أن ما يقرره القرآن وتضيء معالمه السنة: من الثوابت التي ليس للأمة اختيار في التغاضي عنها، فضلاً عن تجاوزها، نعود إلى التذكير بالآية التي أنارت الطريق إلى هذه الحقيقة في خلائق يهود وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.

لقد بيّن الله تعالى كذبهم فيما يدعون، من أن الله أباح لهم أكل أموال المسلمين، وأن ذلك مما يجدونه في كتابهم، فبعد أن كشف عن تلكم العلة التي يتعللون بها – وهي محض افتراء على الله – حكم عليهم بالكذب وأنهم يكذبون وهم يعلمون أنهم على الباطل، وأن الله لم يبح لهم ما زعموا إباحته، بل أمرهم بالاستقامة وأداء الحقوق ووفاء الديون، ذلكم ما رأينا من قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.

وعلى طريقة القرآن في أسلوبه المعجز، انتقل بعد الكلام على خيانة

اليهود في المال، إلى تقرير قضية كبرى، على الناس أن يدركوها، ثم يكون التطبيق. وتلك القضية هي الدعوة الحارة إلى الوفاء والتقوى، فمن أوفى بعهده واتقى، كانت له الحظوة الكبرى عند الله تعالى، فهو سبحانه يحب المتقين. ذلكم قوله جل شأنه في الآية التي تلي، وهي السادسة والسبعون من سورة آل عمران: ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

وأنت ترى أن الآية الكريمة تحمل بكل وضوح، الإخبار من الله عز وجل عن الخير الذي أعده الله لمن أدى أمانته لمن ائتمنه عليها، اتقاءً لله ومراقبة له سبحانه، فبيَّن – وهو العليم الحكيم – أن الأمر ليس كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود، من أنه ليس عليهم في أموال الأميين حرج ولا إثم مدعين، افتراءً على الله، أنه جل وعلا أباح لهم ذلك وأنهم أعلى وأعز من أن يؤدوا حقوق الأميين.

أجل: ليس الأمر كما يقولون: ولكن من أوفى بعهده واتقى، يعني ولكن الذي أوفى بعهده، وذلك ما وصاهم به في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ وما جاءهم به، والاستقامة في التعامل مع الآخرين، أداءً للأمانة ووفاءً للحقوق يَنَلْ محبةَ الله تعالى فإن الله يحب المتقين.

وهكذا يكون من عطاء الآية الذي يجب أن يتنبه إليه المسلمون في أخلاق اليهود، ويبتعدوا عن الوقوع فيما وقعوا فيه، ويرقبوا النتائج على ذلك: بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه فآمن بمحمد ﷺ، وصدّق بما جاءه من الله من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، والوفاء

بالعقود، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، وغير ذلك من أمر الله ونهيه، واتقى – يقول سبحانه –: واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به، وسائر معاصيه التي حرّمها عليه وتعدّي حدوده، فاجتنب ذلك، مراقبةً لوعيد الله وخوف عقابه؛ لأن الله لا تخفى عليه من عباده خافية: فإن الله يحب المتقين. يعني: فإن الله يحب الذين يتقونه، فيخافون عقابه ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به، لأنهم على يقظة تامة ومراقبة له سبحانه: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وإذا كان اليهود في أمور الدين والدنيا، على خلاف ذلك كله، فالآية كما تؤدي غرضها في الكشف عن تلك الحقيقة، تحمل – كما أشرنا آنفاً – تحذير المسلمين من أن يقعوا فيما وقعت فيه يهود، أو أن يكونوا في غفلة عنهم – وهم على هذه الشاكلة – فينالهم الأذى ويصابون في دينهم ودنياهم، وذلك هو الخسران المبين.

وليس عجيباً، أن نرى للإسلام موقفاً يغاير كل المغايرة ما عليه اليهود، من الخيانة في المال، مع خيانتهم في الدين، وزعمهم أن الله أباح لهم ذلك إذ اختلقوا مقالة ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ وائتفكوها بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم – كما أسلفنا – أكل الأموال إلا بحقها ولكنهم قوم بهت... أقول: ليس عجيباً أن نرى للإسلام موقفاً يغاير كل المغايرة ما ذهب إليه أولئك المغضوب عليهم، وأن يوجه أبناءه إلى الوفاء وأداء الأمانة اتقاءً لله ومراقبة له سبحانه فالإسلام هو الدين الحق، والله يحب المتقين.

والذين نجده في الكتاب الكريم، نجد بيانه العملي في السنة المطهرة.

قال عبد الرزاق في «المصنف»: أنبأنا معمر عن أبي إسحاق الهمْداني عن أبي صعصعة بن يزيد أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، قال ابن عباس: تقولون ماذا؟ قال نقول ليس علينا بذلك بأس، قال: هذا كما قال أ هل الكتاب ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم. قال الحافظ ابن كثير: وكذا رواه النووي عن ابن إسحاق بنحوه.

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال: لما قال أهل الكتاب: ليس علينا في الأميين سبيل قال نبي الله ﷺ: «كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين، إلا الأمانة فإنها مؤدَّاة إلى البر والفاجر».

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

كذبوا .. الأمانة عندنا مؤداةٌ إلى البرّ الفاجر

ما صحبت بعضاً من النصوص المباركة في الكتاب العزيز، أو بيانه من السنة المطهرة التي تكشف عن شيء من خلائق يهود، والمنطلقات التي يرتدون إليها في أعماق نفوسهم لدى التعامل مع المسلمين.. إلا رأيت في الواقع الأليم الذي نعانيه من جراء عدوانهم على الأرض والناس، والتاريخ، واستهتارهم بالقيم، ونظراتهم الهابطة إلى أمتنا، بل إلى غيرها أحياناً، دلائل متجددة تؤكد ما جاءت به الأخبار الصادقة عنهم وأن ما يصنعه هؤلاء المعاصرون وأعوانهم – وقد يسّر العلم المعزول عن الأخلاق جرائم الاعتداء وتسويغها – هو صورة متقدمة في صنع المكر والأذى، عما كان يصنعه أسلافهم، سواء أكان ذلك في عصر النبي عليه الصلاة والسلام، أم فيما سبقه من العصور، ولا تستثن الحقب الزمنية الزاخرة بأذاهم لسليمان وداود وموسى وعيسى.... – عليهم السلام – بل إن واقعهم أسوأ مما يعنيه المثل العربي: «ما أشبه الليلة بالبارحة».

ومن الواضح أن ما يبيتون من المكر، أو يلبسون الحق بالباطل، لا يجري مصادفة، وليس ردّ فعل مرتجلاً في تصرفاتهم ... ولكنه مرتبط بانحراف عميق الجذور في نفوسهم، ومنطلقات عنصرية، تشي باستكبارهم وعتوهم عن الحق، ونظراتهم المملوءة بازدراء الآخرين عامة، والمسلمين – بخاصة – وأن هؤلاء النازلين عنهم في الرتبة، علماً بأنهم هم – كما يزعمون – أبناء الله وأحباؤه وشعب الله المختار، غير جديرين بأرفع

من هذا التعامل. فكأن هؤلاء المعتدىٰ عليهم، لا حق لهم في الحياة، ولا في التمليك، ولا بأن يكونوا في عداد من هم من بني الإنسان فلا إثم ولا حرج في أكل أموالهم، واستباحة ديارهم ومقومات إنسانيتهم!!

أسلمني إلى هذا التقديم، ما أنا بسبيله، من متابعة الحديث عما أعقب التبيان القرآني الكريم في شأن استهتارهم بحقوق أهل الإسلام المالية، وتعليل هذا الاستهتار، بأنه ليس عليهم في الأميين سبيل، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ - أي قائماً بالمطالبة والإلحاح والتقاضي - ثم جاء التعليل بما أخبر الله عنهم بقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ تلا ذلك بيان أن هذه الذريعة محض افتراء وكذب على الله في دعوى أنه هو الذي أباح لهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إنهم يعلمون أنهم كاذبون في ذلك، لأن الذي أمروا به في كتابهم غير هذا، لقد أمروا بأداء الأمانة، والوفاء بالحقوق، والاستقامة في التعامل مع الآخرين.. ولكن اليهود هم اليهود أبداً، فهم قوم يأتون المنكر الصارخ من القول والفعل، ويزعمون أن ذلك من الدين، وأن الله أمرهم بذلك، افتراء على الله وبهتاناً على كتاب السماء.

وقد أشرت من قبل أن أسلوب القرآن الحكيم، كثيراً ما يخرج من الجزئية التي يتناولها إلى تقرير قاعدة كلية، على المكلفين أن يدركوا ما ينطبق عليها ويتفرع عنها من جزئيات. والقاعدة الكلية هنا هي الدعوة

إلى الوفاء بعهد الله والتقوى عند حدوده، وعلى هذا: فالخيانة التي استباحها اليهود تتعارض كل التعارض مع القاعدة الكلية، وهي أن الذي يريده الله رب العالمين هو الوَفاء، وأن من أوفى بعهد الله فيما كلفه وأمره ونهاه واتقاه في ذلك، نال درجة المحبة منه جل شأنه، إذ يفهم مما قررته الآية ودعت إليه، أن الذين يسلكون درب الخيانة، ولا يتقون الله في الوفاء بما كلفهم به في كتابهم، وأمرهم ونهاهم، ليسوا من الخير في شيء، ولا يحبهم الله عز وجل؛ وهكذا ترى أنه بعد التعرية لصنيع أولئك اليهود من استباحتهم خيانة الأمانة، وأكل أموال المسلمين بالباطل، وتعليلهم ذلك بعلة مفتراة على الله مكذوبة عليه وهي أنه هو – جل شأنه – أباح لهم ذلك.. بعد هذه التعرية، جاء تقرير تلكم القاعدة الكلية في الترغيب الشديد بالوفاء بعهد الله فيما شرع لعباده، والتقوى في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومنها أداء الأمانات والوفاء بالحقوق، فقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

ولقد كان المسلمون، وهم يتجهون صوب البناء الحضاري الذي لا تعوزه واحدة من القيم المثلى والمبادئ الكريمة، على خط سواء مع هذه الآية الكريمة، وما أعلنته من تلك القاعدة الكلية، فكان تعاملهم – حتى مع اليهود – غاية في الصدق والاستقامة أداءً للأمانات، ووفاءً بالعقود، وإعطاءَ كل ذي حق حقه. وقد أوردت من قبل ما جاء في «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير عند الكلام على ما قاله أولئك اليهود: من قول ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني قال: حدثنا يعقوب قال: حدثنا جعفر عن سعيد بن جبير قال: لما قال

أهل الكتاب: ليس علينا في الأميين سبيل قال نبي الله ﷺ: «كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدميَّ هاتين إلا الأمانة، فإنها مؤدَّاةٌ إلى البر والفاجر».

هكذا يسوِّي الرسول عليه الصلاة والسلام بين أصحاب الحقوق برِّهم وفاجرهم، فالبار لا ينال حقاً لغيره بسبب بره، وإن كان للبر مكانته وأجره العظيم عند الله، والفاجر تؤدىٰ إليه أمانته ولا تخان هذه الأمانة، بسبب فجوره، وإن كان للفجور حسابه والمؤاخذة عليه..

وأنت واجد أن الذي جاء به الحديث في ظل الآية الكريمة، أخذ طريقه إلى التطبيق العملي – كما ذكرنا آنفاً –، فالأمانات تؤدى والحقوق محافظ عليها مهما كان شأن أصحابها. فقد أشرنا من قبل إلى ما روى عبد الرزاق بسنده إلى أبي صعصعة بن يزيد أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة. قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال: نقول: ليس علينا بذلك بأس، قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ليس علينا في الأميين سبيل، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم. وكذا رواه الثوري عن أبي إسحاق السَّبيعي بنحوه.

ذلك ما وجه إليه حبر الأمة عبد الله بن عباس، في ظل ما جاءت به الآية الكريمة، وبينه الرسول عليه الصلاة والسلام. لقد كان ما سأل عنه الرجل، واقعةً يمكن أن تحصل في الغزو حيث المسلمون على متن القوة والانتصار، ولكن ابن عباس جعل من أخذ الدجاجة والشاة من أموال

الذميين بغير حق، أكلاً لأموالهم بالباطل، وهو أمر محظور في شرع الله، ولو فعل المسلمون ذلك لخُشي أن يكون صنيعهم صنيع اليهود الذين قالوا: ليس علينا في الأميين سبيل، وكون الذميين ذميين، لا يبيح أكل أموالهم بغير حق، فالحقوق مصونة، والأمانات مؤدَّاة – هكذا دونما تمييز – ولذا قال ابن عباس: «إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم» فإذا لم تطب أنفسهم ولو بالدجاجة والشاة لم يجز أخذهما ما داموا يؤدون الحقوق التي عليهم.

وأين هذا من خيانة اليهود للأمانة ومماطلتهم في أداء الحقوق لعباد الله المؤمنين – وهذه واحدة من مثالبهم – وقولهم افتراء على الله ﴿**ليس علينا في الأميين سبيل**﴾ ليس علينا في هؤلاء المؤمنين إثم ولا حرج، فأموالهم مباحة لنا في الكتاب المنزل. واليوم يقولون هذا في الأرض والمقدسات حتى بيت المقدس – وفيه ثالث الحرمين – يزعمون زوراً وبهتاناً أنه لهم إلى الأبد. ولو أن المسلمين أفادوا من حقائق القرآن والسنة والتاريخ، لما تمكَّنَ اليهود من هذا التعالي الذي تسبب فيه ضعفنا وقعودنا عن الجهاد، ناهيك عن مظاهرة قوى الشر والخيانة لهم.

ترىٰ ألم يأن لهذه الأمة أن تصحو من خلال الثوابت في الخبر الصادق والتاريخ، وما تنطق به الوقائع اليوم؟ أما آن لها أن تصحو على صوت النذير فتواجه الأعداء الوالغين في الحقد التاريخي، بالسلاح الذي لا يفقهون إلا به؟